ميزان الاعتدال

لحفظ

الدين والأحوال

العنوان: ميزان الاعتدال، لحفظ الدين والأحوال

الجزء الخامس "المحبوبات"

تأليف: الشريف الشيخ عباس السيد فاضل الحسني

الطبعة:الأولى ـ دار الرسالة

رقم الإيداع لدى دار الكتب والوثائق(٢٩٩٢)لسنة ٢٠١٧م

١٤٣٩ هـ ـ ٢٠١٧م







سلسلة الحق والنور

الرسالة الثامنة

ميزان الاعتدال

لحفظ

الدين والأحوال

المؤلف

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل الحسيني

الجزء الخامس - المحبوبات





بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

المقدمة

أحمد الله لذاته، حمدًا كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، اللّهمَّ لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد دومًا وأبدا ـ حمداً يَليقُ بكمالِ جَلالِكَ وَجَمالِ كمالك، ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾[1]، والصَّلاةُ والسَّلامُ على حبيب ربّ العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آل بيت النَّبيِّ الأطهار المكرمين، وأصحاب رسول الله الأتقياء الغرِّ الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، فهم السادة الهداة المهتدون ـ فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

---

(١) سورة الأحقاف.

أمّا بَعْدُ: فها هي المرتبة السادسة، من مراتب التقوى، وهي قسم من الرسالة الثامنة، المسماة: "ميزان الاعتدال، لحفظ الدين والأحوال" ـ بجزئها الخامس، ألا وهي: العملُ "بالمحبوبات"، كُتِبَتْ: لأهل المحبة الإلهية، وهم: أحبابُ الله تعالى من الأولياء والصالحين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[1]، أي: لتتربى على نظري، وفي حفظي، وفي كلاءتي، أي: أحببتك ومن أحبه الله أحبه ما سواه، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[2].

"أي سادة": وأحباب الله سبحانه، هم "أهلُ العنايةِ والمشاهدةِ" من الأنبياءِ والأولياءِ العارفين، وهم درجاتٌ عند الله ـ سبحانه وتعالى، وأعلاهُم قدرًا

---

(١) سورة طه.

(٢) سورة النساء.

وإمامهُم جميعًا في الحبِّ والقدر والمقام، هو: سيدُنا ومولانا محمّد، حبيب ربِّ العالمين وخاتم الأنبياءِ والمرسلينَ ـ صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين؛ كما قال الله ـ تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ ﴿٢٥٣﴾﴾[1]، قال الإمام البغوي: ما أُوتي نبيٌّ آية إلا أُوتي نبيُّنا ﷺ، مثل تلك الآية، وفُضّل على غيره بآيات، مثل: انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على مفارقته، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تُحصى، وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء والأرض على الإتيان بمثله[2]؛ كما قال أكمل

---

(١) سورة البقرة.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ): (٣٤٢/١).

الرّسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»، متفق عليه[1].

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ، فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، فَتَسَمَّعَ حَدِيثَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَبًا أَنَّ اللهَ تَعَالَى اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ أَنْ كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (صحيح البخاري): لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ): كتاب فضائل القرآن ـ باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، رقم: ٤٩٨١، والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (صحيح مسلم): لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ): كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، رقم: ٢٣٩.

مُوسَى تَكْلِيمًا. وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ اللهِ، وَرُوحُهُ، وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ كَلامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى كَلِمتُهُ وَرُوحُهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلا وأَنا حَبِيبُ اللهِ، وَلا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ، وَيُفْتَحُ الْبَابُ لِي، فَيُدْخِلُنِيهَا، وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ، وَالآخِرِينَ عَلَى اللهِ، وَلا فَخْرَ»، رواه الترمذي والدارمي(١)؛ ومدلول هذا

---

(١) سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، (ت ٢٧٩هـ): كتاب المناقب ـ باب في فضل النبي ﷺ، رقم: ٣٦١٦، ومسند الدارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ): المقدمة ـ باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، رقم: ٤٨.

الحديث صحيحٌ، وله شواهدُ متعددة، منها: قوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» رواه مسلم[(١)]، وفي أُخرى، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ ومُشَفَّعٍ وَلا فَخْرَ»، رواه الدارمي والطبراني والبيهقي[(٢)]، وفي أُخرى: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل ـ باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم: ٢٢٧٨.

(٢) مسند الدارمي: المقدمة ـ باب ما أعطي النبي ﷺ، من الفضل، رقم: ٥٠، والمعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت٣٦٠هـ): (٦١/١)، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ): (ص١٩٢).

الأَرْضُ وَلا فَخْرَ» رواه الترمذي[1].

"أي سادة"؛ قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[2]، وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ٥٤﴾[3]، وقال النَّبيُّ الكريم ـ صلوات ربِّي عليه وسلامه: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»، رواه أحمد[4]، وقد أجْمَعَت الأمة على أن الحبَّ لله ولرسوله ﷺ، واجبٌ شرعيٌ، وهو من عظيم الإيمان؛ كما قال الحقّ ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ

---

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب . باب في فضل النبي ﷺ، رقم: ٣٦١٥، قال: وهذا حديث حسن.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة المائدة.

(٤) مسند أحمد: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ): (٣٩٧/٢٠)، رقم: ١٣١٥١، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

حُبًّا لِّلَّهِۗ ﴿١٦٥﴾﴾[1]، لأن الله أحبَّهم أولاً، ثم أحبُّوه ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ ـ وتقدست أسماؤه وصفاته.

ـ وَضُعْفُ الحُبِّ، ضُعْفٌ في الإيمان، ويكون أقربُ إلى الكراهية؛ والكراهيةُ لدين الله ـ كفرٌ أو نفاق، والعياذ بالله تعالى. ومن تحقق بالمحبة، كان على التوحيد ـ تجريدًا وتفريدًا؛ فالتوحيد بمعنى: الإقرار، والتجريد بمعنى: الإخلاص؛ والتفريد بمعنى: الانقطاع إليه ـ سبحانه وتعالى، بالكلية في كل حال.

أما الحبُّ، فهو: إراديٌّ اجتبائي، وللحبِّ مراتبُ؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾[2].

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة القلم.

ـ والمحبـَّة أعظم المقامـات، وأهم المهمـات، "ولا لذة أعظم من محبة الله تعالى، ومعرفته"؛ والمحبة، هي: المواظبة على الطاعة والأدب ـ في الأقوال، والأفعال، والأحوال، وهي: "الباب الأعظم للدخول إلى المعرفة الإلهية"، ولكن من لم يغترف من بحر المعرفة، كيف يعترف بحقيقة المحبة؟!!، وهي: ركن العبادة الأعظم، وهي: ميلٌ دائم، بقلب هائم، واتباعٌ للشرع قائم؛ ويظهر هذا الميل، أولاً: على الجوارح الظاهرة بالاتباع، "وهذا هو الأساس". وثانيها: على القلوب الصادقة؛ بالتصفية والافتقار. وثالثها: الصحو والتمكين، في شهود المحبوب؛ وبدايتها: "طاعة وخدمة"، ووسطها: "هيام وافتقار"، ونهايتها: "انشراح وبقاء"؛ أي: كأنه يراه ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ؛ في مقامي: "الأنس والعرفان".

ـ والمحبة: سر القبول والإقبال للمولى ـ جلَّ وعلا، وهي: جوهر الدين، وروح التقوى، ومنازل القرب إلى الله تعالى؛ فيكون القلب عندئذ، مشكاة نور من الفيوضات الإلهية ـ "سموًا وهدى"؛ وطريق المحبة، طريق الأولياء، وهو: "أن لا يبقى في القلب من الدنيا شيء، وأمرها بالظاهر فقط"، "فاتخاذ الأسباب من السُّنَّة، والتعلق والتوكل على المسبب هو الله تعالى، من العقيدة، والجمع بينهما؛ دين إلى الله تعالى". فتأمَّلوا.

"أي سادة": قلب الصالح يعكس نور الحق فيه، والمحبة يكون القلب بها من آنية الله ﷻ؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ: أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا»، رواه الطبراني[1]، وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قام فينا رسولُ

(١) مسند الشاميين: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت٣٦٠هـ): (١٩/٢).

الله ﷺ، بخمسِ كلمات، فقال: «إِنَّ اللهَ ﷻ لا يَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، رواه مسلم[1].

ـ قال الإمام النوويُّ، وغيره : والسُّبُحَات جمع سُبْحَة: وهيَ ما يفيض عن الذات الجميلة من لآلئ النور، ونوابض الحسن، وأشعَّة الجمال[2]. قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «اللّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللّهُمَّ وَمَا

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب في قوله ـ عليه السلام: «إن الله لا ينام»، رقم: ٢٩٣.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ): (٣/١٣.١٤)، وجمالية الدين: لفريد الأنصاري المغربي (ت ١٤٣٠هـ): (ص ١٤٢).

زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ»، رواه الترمذي وابن أبي شيبة[1].

ـ قوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «اللّهم ارزقني حُبَّك»: اللّهم ارزقني بفضلك حُبَّك، لأنه لا سعادة لقلبي، ولا لذة، ولا نعيم، ولا صلاح إلا بأن تكون أحبّ إليّ من كل شيء مما سواك، وارزقني حُبَّ نبيّنا محمد ﷺ، باتباعه، لا ينفعني عندك إلا حُبُّه، وارزقني حبَّ أوليائك ـ كالملائكة، والأنبياء، والمؤمنين. قوله: «اللّهم ما رزقتني مما أحب، فاجعله قوة لي فيما تحب»، أي: اللّهمَّ أسألك ما رزقتني مما أحب من عافية البدن وقوته، ومتاع الدنيا من المال والأولاد والفراغ، فاجعله قوّة وعدّة وإعانة لي

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم: ٣٤٩١، ومصنف ابن أبي شيبة: لأبي بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ): (٦٧/٦).

فيما تحبّ بأن تصرفه فيما تحبّه وترضاه ـ من الطاعة والعبادة، من الأقوال والأفعال.

ـ قوله ﷺ: «اللّهمَّ ما زَويْت عنِّي مما أحبّ، فاجعله فراغاً لي فيما تُحبّ»، أي: اللّهمَّ ما صرفت ومحوت عني من محابّي من المال والأولاد، وزخرف الدنيا وزينتها؛ فاجعله سبباً لفراغي بمحابّك من الطاعة، والعبادة لك، ولا تشغل به قلبي وفكري، فيُشغَل عن ذكرك يا الله. سأل اللّه تعالى التوفيق إلى محابّه في كل أحواله؛ لأن محبة الله تعالى هي أعظم العون على القيام بطاعته تعالى، واجتناب مناهيه، فينبغي للعبد الإكثار من سؤال الله ـ تبارك وتعالى، محبّته؛ "لأنها أعظم المطالب، وأسمى المراتب العلية".

"أي سادة": قد انطوى تحت هذا الحديث عدّة مقامات عظيمة: مقام الحبّ، ومقام التوحيد، ومقام

الصبر، ومقام الشكر، ومقام الرضى، ومقام التسليم، ومقام الأُنس، ومقام البسط، ومقام التمكين، وغير ذلك، ولم يجتمع مثلها في حديث قصير إلا قليلاً، فأنت ترى جُلّ مقامات العبودية قد دخلت فيه.

واعلموا أن مراتب المحبة ثلاثة:-

أولاً: الحبُّ الحقيقي، وهو: حبّ الذات القدسية العلية، وهو الحب الحقيقي، أي: أنك تحب الله لله حبًا حقيقيًا؛ لأنه ـ جلَّ وعلا، أهلاً للمحبة، فهو ربّ العالمين، وربّ الحبّ، وربّ الحبيب وأحبابه؛ وهذه حقيقة التوحيد، وأن تحب ما يحبه الله لله، فلا تحب إلا لله، ولا تبغض إلا في الله؛ كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ»، رواه الإمام أحمد[1]، وفي أخرى: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى

(١) مسند أحمد: (٤٨٨/٣٠)، رقم: ١٨٥٢٤.

للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي[1]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «لا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الإِيمَانِ[2]، حَتَّى يُحِبَّ للهِ تَعَالَى وَيُبْغِضَ للهِ، فَإِذَا أَحَبَّ للهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَبْغَضَ للهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْوَلاءَ مِنْ اللهِ، وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ»، رواه أحمد[3]، قالوا: من كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما فقد صار حبّه كله له ـ جلَّ جلالُهُ، وأن لا يبقى له بقية من نفسه وهواه؛ وذلك يستلزم محبة ما يُحبّه الله من الأقوال والأعمال، وكراهية ما يكرهه

---

(١) مسند أحمد: (١٦/٤٣١)، رقم: ١٠٧٣٨، وسنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ): كتاب السنة ـ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٦٨١، وسنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥٢١.

(٢) أي: الإيمان الكامل الخالص.

(٣) مسند أحمد: (٢٤/٣١٧)، رقم: ١٥٥٤٩.

من ذلك، وكذلك من الأشخاص، ويلزم من ذلك معاملتهم بمقتضى الحبّ والبغض؛ فمن أحبه الله أكرمه وعامله بالعدل والفضل، ومن أبغضه الله أهانه بالعدل؛ ولهذا وصف الله المحبين له، بأنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴿٥٤﴾﴾[1]، فلا تتم محبة الله ورسوله إلا بمحبة أوليائه وموالاتهم، وبغض أعدائهم ومعاداتهم.

ثانيًا: الحبُّ القبولي، فهو: أن تحب النَّبيَّ محمدًا ـ ﷺ لله، وتطيع رسول الله ﷺ، لله، "وذلك لحب الله فيه، وأمره تعالى فيه"؛ كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[2]، ولقوله ـ صلوات ربّي عليه وسلامه:

---

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة آل عمران.

«أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ وأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي»، رواه الترمذي[1]؛ فأشار إلى أن محبة الله أصالةً، ومحبته ـ عليه الصَّلاة والسَّلام، تبعيةً "كما يقتضي مَقامُ الربوبية والعبودية"، وروى البخاري وأحمد: عن مَعْبَدٍ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺوَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ: وَاللهِ لأَنتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ» قَالَ عُمَرُ: فَلأَنْتَ الآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»[2]، وهذا لكمال الإيمان. فتأملوا، فتح الله لكم، آمين.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب . باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، رقم:٣٧٨٩، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) مسند أحمد: (٥٨٣/٢٩)، رقم: ١٨٠٤٧، وصحيح البخاري: كتاب الإيمان والنذور . باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم:٦٦٣٢.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ۝٦﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦ ۝١٢٠﴾[2]، وفيه الدليل على تقديم نفسه الشريفة ﷺ على نفوسهم، وهذا صريح الإيمان وكماله؛ لقوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»؛ ولأن طاعة الرسول من طاعة الله: كما قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ۝٨٠﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ۝٣١﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة التوبة.

(٣) سورة النساء.

(٤) سورة آل عمران.

يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾[1]،
وقال سبحانه: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٦٢﴾[2]،
وقد أدمج الله طاعته وطاعة رسوله بالرضا من ذاته ـ جلَّ وعلا، فقال: ﴿أَن يُرۡضُوهُ﴾، **ولم يقل أن يرضوهما.**

"أي سادة": وهذه من أمثلة الطاعة والامتثال، فكيف بالحبِّ والآداب معه ﷺ!!، فقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[3]،
وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨
لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ

(١) سورة الحجرات.

(٢) سورة التوبة.

(٣) سورة الحجرات.

﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾[1]؛ فإنك إذا أحببتَ حَبيبَ الله، فقد أحبَكَ الله عز وجل ومن أحَبهُ الله ـ سبحانه ـ لا يعذبه أبداً، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ٥٤﴾، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»، متفق عليه[3]،

---

(١) سورة الفتح.

(٢) سورة التوبة.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الإيمان. باب حلاوة الإيمان، رقم: ١٦،ورواه في=

وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: ـ للذي أحبَّ رجلاً في الله: «فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رواه مسلم[1].

ـ وقال ﷺ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ، غَدًا رَجُلاً يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ " فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هذا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، الرَّايَةَ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ»، رواه البخاري ومسلم[2].

= كتاب الإكراه . باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم: ٦٩٤١، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان . باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم: ٦٧.

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب . باب في فضل الحب في الله، رقم: ٦٤٩٥، وتمامه في صفحة ٥٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ـ باب ما قيل في لواء النبي ﷺ ، رقم:٢٩٧٦، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم: ٢٤٠٧.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ، قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»، رواه البخاري[1].

ـ قال ابن رجب الحنبلي: ومتى تمكنت المحبة من القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرَّبِّ، وَهذا هُوَ معنى الحَدِيث الإلهي، وَالمعْنَى: أَن محبَّة الله إِذا استغرق بهَا القلب واستولت عَلَيْهِ لم تنبعث الجَوَارِح إِلَّا إِلَى

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ـ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

مراضي الربِّ وَصَارَت النَّفس حِينَئِذٍ مطمئنة بإرادة مَوْلاهَا عَن مرادها وهواها[1].

ثالثًا: الحبُّ الكمالي، وهو: "أن تحب من أحب الله لله، وليس مع الله"، فتنبه جدًا؛ وهذا لكمال الحب بالله تعالى ـ كحب الأنبياء جميعًا ـ عليهم السّلام، والملائكة المكرمين، وأحباب الله الصالحين رضي الله عنهم، وذلك لكمال محبة ذات الحقّ تعالى؛ كما قال جل جلاله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

(١) روائع التفسير(الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي): لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت ٧٩٥هـ): (٢/٢٥٧).

(٢) سورة البقرة.

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[(١)]، وقال ـ عزَّ شأنه: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩﴾[(٢)]، وقال ـ تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[(٣)]، وقال النَّبيُّ محمّدٌ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ رَجُلاً للهِ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ للهِ، فَدَخَلا الْجَنَّةَ، فَكَانَ الَّذِي أَحَبَّ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً مِنَ الآخَرِ أَلحق بِالَّذِي أَحَبَّ للهِ»، رواه البزار بإسناد حسن[(٤)]، وروى مسلم أن النَّبيَّ ﷺ، قال:

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة المدثر.

(٣) سورة التوبة.

(٤) مسند البزار: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزَّار (ت ٢٩٢هـ): (٦/٤١٤)، رقم: ٢٤٣٩، ولفظه عند البخاري في الأدب المفرد (١/١٩٢)، رقم: ٥٤٠٦: «من أحب أخًا لله في الله قال: إني أحبك لله، فدخلا جميعًا الجنة، كان الذي أحب في الله أرفع درجة لحبه على الذي أحبه له»، ولفظ عبد بن حميد:=

«أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷿، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[١]، وعن ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[٢]،

ـ وروى الإمام أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. قال أكمل الرّسل ـ

=«من أحب رجلاً فقال: إني أحبك لله ﷿، فدخلا الجنة، فكان أرفع درجة منه؛ ألحق به» .

(١) سبق تخريجه: ص٣١.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب ـ باب علامة حب الله ﷿، رقم: ٦١٧٠، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ـ باب المرء مع من أحب رقم: ٢٦٤١.

صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ للهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ نَاسٌ مِنْ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللهِ، انْعَتْهُمْ لَنَا، يَعْنِي: صِفْهُمْ لَنَا، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِسُؤَالِ الأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ[(١)] النَّاسِ، وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ[(٢)]، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللهِ وَتَصَافَوْا[(٣)]؛ يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ

---

(١) أي لم يعلم ممن هو، الواحد فنو.

(٢) جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، أي: بعد وغاب، وقيل: لأنه ينزع إلى وطنه، أي: ينجذب ويميل.

(٣) أظهروا الصفاء في المحبة، وطهرت قلوبهم من أدران الحقد والبغضاء.

نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ»[1]. وفي أخرى، قال تعالى: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، يَعْنِي نَفْسَهُ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ»[2].

- لذا كان يدعو ـ صلوات الله عليه وسلامه، ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ

---

(١) مسند أحمد: (٣٧/٥٤١)، رقم: ٢٢٩٠٦، ومسند أبي يعلى: لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى الموصلي (ت ٣٠٧هـ): (١٢/ ٢٣٣)، رقم:٦٨٤٢، والمستدرك: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ): (٤/١٨٨)، رقم:٧٣١٨.

(٢) مسند أحمد: (٣٧/٤٤٥)، رقم: ٢٢٧٨٢، قال: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ» رواه الترمذي[١]، وروى الإمام مالك وأحمد عَن أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلانِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا[٢]، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ[٣] وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ[٤] فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ للهِ، فَقَالَ: آللهِ. فَقُلْتُ: آللهِ، فَقَالَ: آللهِ. فَقُلْتُ: آللهِ.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، رقم: ٣٤٩٠.

(٢) أسنانه نظيفة لامعة لنضارة جسمه، وبشاشة وجهه، وحلاوة منظره.

(٣) سلموا له زمام الكلام وشاوروه، وعملوا بنصيحته، ونفذوا ما أمر فهو سيدهم.

(٤) هجرت: بكرت، والتهجير: التبكير إلى كل شيء والمبادرة إليه، أراد المبادرة إلى أول وقت الصلاة.

فَقَالَ: آللهِ. فَقُلْتُ: آللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي[1] فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»[2]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَافُّونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي»، رواه أحمد[3].

---

(١) بحبوة ردائي: مد يديه لأطراف ثوبي، يقال احتبى الرجل: جمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره وقد يحتبي بيديه.

(٢) موطأ مالك: للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ): كتاب الشعر ـ باب ما جاء في المتحابين في الله، رقم: ٣٥٠٧، وصحيح ابن حبان: (٣٣٥/٢)، قال الإمام النووي في رياض الصالحين، (ص٨٧): رواه مالك في "الموطأ" بإسناده الصحيح.

(٣) مسند أحمد: (١٤٨/٣٢)،رقم:١٩٤٣٨،قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

ورد في الأثر ـ عن بعض أهل العلم ـ قولهم: ومن كمال محبة ذات الله أن تحب من أحب الله، قلت: هذا للعموم، فكيف لخاصته، وهو: أن تحب من أَحَبَّهُ الله ـ لتحقيق المحبوبية لك عند الله ﷻ، ومراتبها ثلاثة :-

أولاً: الاتباع لأحكام الشريعة الغراء، بدين الله الإسلام؛ لأنَّ المحب لمن يُحب مطيع ـ وهو الاتباع والأدب.

ثانيًا: الامتثال لأخلاق وآداب من تُحب ـ في شأنه وشأوه، في شمائله وصفته؛ قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[1].

ثالثًا: إملاء القلب بالمحبة لله؛ كما قال ـ جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ١٦٥﴾[2]. كما قال ﷺ: «الْمَرْءُ

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة البقرة.

عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»، رواه أحمد، وأبو داود والترمذي والبيهقي[1]، ولقوله ﷺ: «خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ بِهِمْ»، رواه البيهقي بسند حسن[2]، وقال ـ عليه السلام : «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»، رواه مسلم وغيره[3].

وذكر الإمام الغزّالي ـ رحمه الله ـ في الإحياء: عن جدنا عليّ رضي الله عنه، قال: عليكم بالإخوان، فإنهم عدّة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن

---

(١) مسند أحمد: (٨/٣٠٧)، رقم: ٨٣٩٨، وسنن أبي داود: كتاب الأدب ـ باب ما يؤمر أن يجالس، رقم: ٤٨٣٣، وسنن الترمذي: كتاب الزهد ـ باب ما جاء في أخذ المال في حقه، رقم: ٢٣٧٨، وشعب الإيمان: للبيهقي: (٧/٥٥)، قال محمد بن عبد الله الخطيب التِّبريزي: (ت ٧٣٧ هـ)، في مشكاة المصابيح، (٣/١٣٩٧): رواه أحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان، وقال النووي: إسناده صحيح.

(٢) شعب الإيمان: (٩/٧٧).

(٣) صحيح مسلم: كتاب السلام ـ باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، رقم: ٢١٩٩.

شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾[1]﴾[2]، هذا هو الصديق في إخراج صاحبه من النار، فكيف بالمحب في الله في الدين والتربية!!؟، فتأملوا. وقال رسول الله ﷺ: «خياركم من ذَكَّرَكم بالله رُؤيتهُ وأزاد في عَملكُمْ منطِقُهُ، ورغَّبَكُم في الآخرةِ عَملَهُ»، رواه الحكيم الترمذي[3]، وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَلا أُخبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى»، رواه أحمد، وابن ماجه[4]، وقال ـ عليه السّلام: «إنَّ من الناسِ مفاتيح

---

(١) سورة الشعراء.

(٢) إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ): (٢/١٦٠).

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: لمحمد بن علي بن الحسن بن بشر أبي عبد الله الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ): (٢/٣٩).

(٤) مسند أحمد: (٢٩/٥٢١)، رقم: ١٧٩٩٨، وسنن ابن ماجه: لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ): كتاب الزهد ـ باب من لا يؤبه له، رقم: ٤١١٩.

لذكر الله» ـ قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هُمْ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ»، رواه الطبراني والبيهقي[1].

قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى: كلما أجد في قلبي قسوة آتي محمّد بن المنكدر فأنظُر إليه نظرة، فأتعظ بنفسي أيامًا[2]. قلت: إن للشر تأثيرًا بخبثه سواء كان حسدًا أو سحرًا أو شيطانًا؛ فكيف تأثير قلوب أحباب الله المملوءة بنور الله وتوفيقه؛ كما قال ـ جلَّ مجده: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾[3]، أي: المتأملين المتفكرين الذين هم فكر ورَوِيَّة وفراسة بنور الله تعالى.

---

(١) المعجم الكبير: (١٠/٢٠٥)، رقم:١٠٤٧٦، شعب الإيمان: (٢/١٧٩)، رقم: ٦٨٨.

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك: لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ): (٢/٥٢).

(٣) سورة الحجر.

ـ"أي سادة": وكم نحن بحاجة وفي زماننا هذا، بمصاحبة العلماء الربانيين، والتأدب بآدابهم، والنظر إليهم، والتبرك بعلومهم وأحوالهم بالله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾[(١)]، فانتهى الجمع المتكرر بمفرد نكرة، والنكرة للعموم؛ فقد وفقهم الله تعالى، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب والدرجات في الجنة ما لا تبلغه أعمالهم، ولكن بصحبتهم معهم لله ربِّ العالمين.

كما قال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا» رواه أحمد والترمذي[(٢)].

---

(١) سورة النساء.

(٢) مسند أحمد:(٣٦/٤٢٢،٤٢٣)، رقم: ٢٢١٠٩، وسنن الترمذي: كتاب=

قال أهل العلم: ومن كمال محبة ذات الحقِّ ـ جلَّ وعلا، أن تُحب من أحب الله، فكيف حبنا لمن أحبه الله؟.

ـ ومن هذه المحبة: الإيمان بحب آل البيت الأطهار ـ رضوان الله عليهم والسّلام؛ كما قال ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ۝٢٣﴾[1]، وقال - جلَّ ذكره: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ۝٣٣﴾[2]، وقال ﷺ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» رواه مسلم[3]، فمن أراد الله به خيرًا ألزمه

= تفسير القرآن ـ باب في تفسير ص، رقم: ٣٢٣٥، وقال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بن إسماعيل، [أي: الإمام البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ثم ذكر أنه أصح من حديث الوليد بن مسلم.

(١) سورة الشورى.

(٢) سورة الأحزاب.

(٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل علي بن أبي طالب، رقم: ٢٤٠٨.

وصية نبيه ﷺ في آل بيته ـ عليهم الرضوان والسّلام، ونتمثل بعلمهم وأدبهم وحبهم في الله تعالى؛ لنجمع بين سلوكهم وحبهم في الله تعالى؛ عسى أن نذهب بجاهم بالله إلى الله ـ جلَّ جلالُهُ؛ وبذلك صدقنا في المحبّة وترقينا بتوفيق الله تعالى، "بسلوكهم وحالهم بالله عزّ وجلّ".

ـ ومن هذه المحبة: الإيمان بحب أصحاب رسول الله الكرام ـ رضوان الله تعالى عليهم جميعًا، كما قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ

وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾[1]، وورد في الحديث قوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»، وهذه الرواية مدلولها صحيح، وهي مؤيدة بحديث صحيح بمعناها؛ لما روى مسلم في صحيحه، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[2]. فيجب ذكر محاسنهم، ومحبتهم، والثناء عليهم، وتبركوا بذكرهم، واعملوا على التخلق بأخلاقهم ـ رضي الله تعالى عليهم أجمعين؛ لأن الصحابة الأجلاء كلّهم عدول، أي: "كلهم صدوق"، لأنّهم لا

(١) سورة الفتح.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل. باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، رقم: ٢٥٣١.

يعرفون الكذب مطلقًا؛ وبهذا وصل إلينا الدين عنهم كاملًا ـ لصدق أمانة ما نقلوا إلينا، وفي كتاب الرسالة للإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى، بيانٌ واضحٌ في ذلك.

ـ ومن هذه المحبة: الإيمان بحب أولياء الله وأحبابه، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[1]، "فالولي من وادَّ الله، وآمن به واتقاه"، فلا تحادُّوا من وادَّ الله، جاء في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْب» رواه البخاري[2].

"أي سادة": الله يغار لأوليائه، ينتقم لهم ممن يؤذيهم، ويكرمهم بصون محبتهم، فيحبك لمحبته عليهم، هم أخص المخاطبين بآية: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

---

(١) سورة يونس.

(٢) سبق تخريجه: ص ٣٢.

وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ۝٣١﴾[1]، عليكم بمحبتهم، والتقرب إليهم، تحصل لكم بهم من الله البركة، والمرء مع من أحب، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقال ﷺ: «أولياءُ اللهِ الذينَ إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ»، رواه البزَّار[2].

قال الشيخ أبو العبَّاس ابن تيمية في "الفتاوى": فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته؛ فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبيّ ﷺ، والأنبياء قبله والمرسلين، وأصحابه الصالحين وتصورتهم في قلبك؛ فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم، إذا كنت تحبهم لله؛ فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله،

---

(١) سورة فصلت.

(٢) مسند البزَّار: (٢٥١/١١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٠/١٠): رواه البزَّار عن شيخه علي بن حرب، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. قال الألباني: "صحيح" انظر حديث رقم: ٢٩٨٧ في "صحيح الجامع"، والسلسلة الصحيحة: حديث رقم: ١٧٣٣.

والمحب لله إذا أحب شخصاً لله؛ فإن الله هو محبوبه، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله. اهـ[1].

ـ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ[2]، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟، قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا[3]؟، قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عز وجل، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رواه مسلم[4]، وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لأُنَاسًا

---

(١) مجموع الفتاوى: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ): (١٠/ ٦٠٨).

(٢) معنى "أرصده": أقعده يرقبه، والمدرجة: بفتح الميم والراء، هي الطريق، سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها، أي: يمضون ويمشون.

(٣) أي: تقوم عليها، وتسعى في صلاحها عنده، وتنهض بسببها.

(٤) سبق تخريجه: ص٣١.

مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِم مِنَ اللهِ تَعَالَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾، رواه أبو داود[1]. ـ قال الحافظ أبو نُعيم في"الحُلية": وَمِنْ نُعُوتِهِمْ: أَنَّهُمُ الْمُوَرِّثُونَ جُلَّاسَهُمْ كَامِلَ الذِّكْرِ، وَالْمُفِيدُونَ خِلَّانَهُمْ بِشَامِلِ الْبِرِّ؛[2] "وأولئك هم الأولياء حقا"؛﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[3].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الإجارة ـ باب في الرهن، رقم: ٣٥٢٧.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): (٥/١).

(٣) سورة البينة.

قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣﴾[1]، قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، "ولكن اجعلوا الفرح شكرًا"، "والحزن صبرًا"[2]. وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت[3].

وقال جدنا عليّ المرتضى ـ عليه الرضوان والسّلام: يا هذا، لا تدخل همّ غدك على يومك، فإن عشت فسيأتيك الله برزق جديد، وإن متّ فلا تشغل وقتك بهمٍّ لا تلحقه. قال أكمل الرّسل ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ

---

(١) سورة الحديد.

(٢) شعب الإيمان: (٣٩٧/١)، رقم: ٢٣٤.

(٣) حلية الأولياء: (٦٠/١٠)، وشعب الإيمان: (٣٩٧/١)، رقم: ٢٣٣.

تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»[1]، وورد: «من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه من حيث لا يحتسب». وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئًا لا يَتْرُكُهُ إِلَّا لِلَّهِ إِلَّا آتَاهُ اللهُ مِمَّا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَلا تَهَاوَنَ عَبْدٌ أَوْ أَخَذَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا أَتَاهُ اللهُ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ[2].

"أي إخوتي": اعلموا أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام من دون الله، والبعض يعبدونها مع الله، ويحبونها كحب الله ﷻ: كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴿١٦٥﴾﴾[3]، وقال ـ جلّت عظمته: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ

(١) مسند أحمد: (٣٤/٣٤٢)، رقم: ٢٠٧٣٩، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢)الزهد والرقائق: لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك(ت١٨١هـ):(١٠/١)

(٣) سورة البقرة.

ﭐتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴿٣﴾﴾[1].

- أما صفة عبادة المؤمنين، وأحباب الله الصالحين ـ بدين الله الإسلام الحنيف، فإنهم ـ يَعبدون الله وحده لا شريك له، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون، ويُحبون الله لله سبحانه، لجلاله وجماله ومحامد صفاته التي لا يتصور أن يشارك فيها أحد؛ قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾[2]**، وقال ـ جلَّ مجده:** ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[3]**، ويحبون رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم، لحب الله فيه وأمره، ويُحبون أحباب الله لحب الله فيهم، فيذهبون بحب الله عليهم إلى الله ﷻ، فيحبهم لحبه عليهم. فتنبهوا.**

---

(١) سورة الزمر.

(٢) سورة الأنعام.

(٣) سورة الشورى.

"أي سادة": حقيقة المحبة، كما قال أهل المعرفة بالله ـ رضي الله تعالى عنهم جميعاً، هي: "المحو، والموافقة".

ـ فالمحو على ثلاث مدارج، أدناها: محو القلب عن حب الذنوب والمعاصي، وأوسطها: محو القلب عن حب الدنيا وأهلها، وأعلاها: محو القلب عن حب ما دون الله ـ تبارك وتعالى ربُّنا وتقدَّس.

ـ أما الموافقة، فكما قال يحيى بن معاذ ـ رضي الله تعالى عنه: ليس بصادق في حبه من لم يحفظ حدودَهُ، ولم يعظم حرمتَهُ، ولم يعرف منَّتهُ ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ نوالُهُ[١]، بل هي: حقيقة المحبة، قال النبيُّ الكريم ـ عليه الصَّلاة والتسليم: «اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ اللّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ

(١) الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ): (٢/٤٨٨).

إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ»[1]، قال الصديق أبو بكر ـ رضوان الله تعالى عليه: من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا، وأوحشه عن جميع البشر[2] ـ أي من أرباب الدنيا؛ وقال الحسن: من عرف ربّه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن[3]، وقال: المحبة ـ بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء[4]، أي: بمحبوبه، وورد عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْعِفْرِيتَ النِّفْرِيتَ، الَّذِي لا يُرْزَأُ فِي وَلَدِهِ وَلا يُصَابُ فِي مَالِهِ»[5]،

---

(١) سبق تخريجه: ص٣٨.

(٢) روح البيان: لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت ١١٢٧هـ): (٨/٣٨٨).

(٣) حلية الأولياء: (٣/١٠٨)، وإحياء علوم الدين: (٤/٢٩٥).

(٤) الرسالة القشيرية: (٢/٤٩٠).

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: لأبي محمد الحارث بن محمد بن داهر المعروف بابن أبي أسامة (ت ٢٨٢هـ): (١/٣٥٢).

وهذا مؤيد؛ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيس عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»، رواه الإمام أحمد[1].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾[2]، أي: ليختبركم.

ـ يروى: أنَّ عيسى ـ عليه السّلام ـ مرَّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم، وتغيرت ألوانهم، فقال لهم: من الذي بلغ بكم ما أرى؟، فقالوا: الخوف من النار، فقال: حقٌ

---

(١) مسند أحمد:(٧٨/٣)، رقم: ١٤٨١ ،قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) سورة الملك.

على الله أن يؤمن الخائف. ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولاً وتغيرًا، فقال لهم: من الذي بلغ بكم ما أرى؟، فقالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حقٌ على الله أن يعطيكم ما ترجون. ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولاً وتغيرًا كأن وجوههم المرايا من النور، فقال لهم: من الذي بلغ بكم ما أرى؟، فقالوا: الحب لله ﷻ فقال: أنتم المقربون. أنتم المقربون. أنتم المقربون. اهـ[1]، وقال هرم بن حيان ـ رضي الله تعالى عنه: إذا عرف المؤمن ربَّه أحبه، وإذا أحبه أقبل عليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة، وهو بجسده في الدنيا، وبروحه في الآخرة[2]؛ وقال يحيى بن معاذ ـ رضي الله تعالى عنه: عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه،

---

(١) حلية الأولياء: (١٠/٧).

(٢) إحياء علوم الدين: (٤/٢٩٦).

ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه، وحبه يُدهش العقل فكيف وده، ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه[1]؛ لذا كان يناجي ربّه ـ جلَّ وعلا ـ ويقول: إلهي لا تعذب قلبًا أنت حبيبه، إلهي إن عذَّبتني عذبت من أحبك، وإن أهنتني أهنت من أحبك، وإن أكرمتني أكرمت من أحبك[2]، قال سمنون ـ رضي الله تعالى عنه: المحبة صفاء الود مع دوام الذكر، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره[3]؛ وسُئل الجنيد بن محمد ـ رضوان الله تعالى عليه، عن المحبة، فقال: ((دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب))، ومراده: أن استيلاء ذكر المحبوب وصفاته وأسمائه على قلب المحب حتى لا يكون الغالب عليه إلا ذلك، ولا يكون شعوره وإحساسه في الغالب

(١) المصدر السابق.

(٢) اللمع في تأريخ التصوف الإسلامي: لأبي نصر عبد الله بن علي السراج (ت٣٨٧هـ): (ص٥٤).

(٣) المصدر نفسه: (ص ٥٢-٥٣).

إلا بها. فيصير شعوره وإحساسه بدلا من شعوره وإحساسه بصفات نفسه، وقد يحتمل معنى أشرف من هذا: تبدل صفات المحب الذميمة - التي لا توافق صفات المحبوب - بالصفات الجميلة المحبوبة التي توافق صفاته(١)، فهذا على معنى، قوله: «حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»(٢) أي: إقبالُه وقبولُه ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

"أي إخوتي": هذا حُبُّ المُسلمِ للمُسلمِ في الله، فكيف بحبِّ المُسلم لحبيبه ـ لله ـ سبحانه وتعالى!!؟، فعلى المسلم أن يحافظ على المندوب الشرعيّ، بل على المُقرِّب الحاصل بالصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ محمّدٍ

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): (١٤/٣).

(٢) سبق تخريجه: ص٣٢.

الحبيب ـ صلّى الله عليه، وعلى آل بيته، وأصحابه وسلم وبارك، "وأنَّ مَحبّتَه وإجلالَهُ وتَعظيمَهُ؛ واجبٌ شرعيٌّ"؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾[1]، والتأدب عند سماع اسمه الشريف، "وذكر سُنَّتِهِ مطلوبٌ ومسنون"؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾[2]، لذا كان الإمام مالك ﵁ إذا ذكر النَّبيُّ ﷺ يتغير لونه وينحني؛ وكان الإمام جعفر بن محمد الصادق إذا ذكر النَّبيُّ ﷺ عنده اصفرَّ لونه[3]؛ وكان عبد الرحمن

(١) سورة الفتح.

(٢) سورة الحجرات.

(٣) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد،: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ): (١١/٤٤٠).

بن القاسم بن خالد بن جنادة ـ صاحب مالك ـ كما ذكر الإمام بدر الدين ابن جماعة الكناني في كتابه النفيس:"تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" قال:إذا ذكر النَّبيُّ ﷺ يجف لسانه في فِيهِ هيبة لرسول الله ﷺ؛ وعن أبي عمر الشيباني، قال: كنت أجلس إلى ابن مسعود حولاً لا يقول: قال رسول الله ﷺ إلا استقلته الرعدة، قال: هكذا أو نحو ذا أو قريب من ذا. اهـ[1].

ـ ومن مقام الحب العظيم لرسوله المعصوم الأعظم ـ صلوات ربّي عليه وسلامه: ما روى أحمد، والبخاري، ومسلم ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا» فَقَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صلاةٍ وَلا صَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قال أنس: فما

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم: لأبي عبد الله، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني (ت ٧٣٣هـ): (ص ١٤).

فرحنا، بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: «فإنك مع من أحببت»[1]، فانظر إلى تفقه الصحابي في قوله: فما فرحنا، أي: جملة آل البيت والأصحاب، بدين الله الحنيف مثل فرحتنا بهذه المحبة لله ولرسول الله ﷺ.

قال العلامة ابن القيم: الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها وهي عشرة:-

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه. ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

---

(١) مسند أحمد: (٢٠/٤٠٥)، رقم: ١٣١٦٧، وصحيح البخاري: كتاب الأدب ـ باب علامة حب الله ﷻ، رقم: ٦١٧١، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب ـ باب المرء مع من أحب، رقم: ٢٦٣٩.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابِّه على محابِّك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها. وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة. فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى. وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه. ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة[1].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقول من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له، من يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، من يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له». رواه الخمسة.

هذا الحديث من أحاديث الصفات؛ وفيه مذهبان معروفان:.

أحدهما: وهو مذهب السلف وغيرهم؛ أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل، ويترك الكلام فيه، وفي أمثاله مع الإيمان به، وتنزيه الربّ ـ تبارك وتعالى ـ عن صفات الأجسام؛ والأمر كما جاء بلا كيف.

المذهب الثاني: وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم؛ أن الصعود والنزول من صفات الأجسام، والله تعالى يتقدس عن ذلك؛ فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والألطاف الإلهية، وقربها من عباده، والإقبال على الداعين لنفحات رحمة الله تعالى.

فسبيلُ المتقينَ من السلف تنزيهُ اللهِ تعالى عمّا دلَّ عليهِ ظاهرهُ، وتفويض معناه المراد منه إلى الحقِّ ـ تعالى وتقدس ـ وبهذا سلامة الدين. قال إمامنا الشافعي: من انتهض لمعرفة مدبِّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره ـ فهو مشبِّه. وإن اطمأن إلى العدم الصرف ـ فهو معطِّل. وإن اطمأن لموجود، واعترف بالعجز عن إدراكه ـ فهو موحد. فتنبه.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر. ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ـ عزَّ وجلَّ.

ـ فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة. ودخلوا على الحبيب. وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق(١).

ـ وقال ابن القيم: مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا

---

(١) مدارج السالكين: (٣/١٨ ـ ١٩).

إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الطوية إلى النصيحة[1].

قال الكبار: وعلامة السُّعداء ثلاثة؛ التمسك بسنة النبيِّ المختار، والصحبة مع الأولياء الأخيار، والحياء من الملك الجبار.

قال الإمام المحاسبي: والمحبة في ثلاثة أشياء؛ لا يُسَمَّى مُحبّاً لله ﷻ، إلا بها ـ مَحبَّةُ المؤمنين في الله ﷻ، وعلامَةُ ذلك: كَفُّ الأذى عنهم وجَلْبُ المنفعةِ إليهم. ومَحبَّةُ الرسول ﷺ لله ﷻ، [أي: أن تحب الرسول ﷺ لأمر الله بمحبّته]، وعلامة ذلك اتباع سُنَّته، قال الله ـ جلَّ ذكرُه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾﴾[2]،

(١) المصدر السابق: (٣/٣٢٢).

(٢) سورة آل عمران.

ومَحبَّةُ الله ﷻ في إيثارِ الطاعةِ على المعصيةِ، ويقالُ: ذِكْرُ النِّعْمَةِ يُورِثُ المَحبَّة.

ـ وللمَحبَّةِ أوّلٌ وآخرٌ، فأوَّلُهَا: مَحبَّةُ الله بالأيادي [أي: النِّعَم] والمنن، قال ابن مسعود رضي الله عنه: جُبِلَتِ القلوبُ على حبِّ من أحسنَ إليها. وأعلاَها المَحبَّةُ لوجوبِ حقِّ الله ﷻ، قال علي بن الفضيل ـ رحمةُ اللهِ عليهِ: إنَّما يُحَبُّ اللهُ ﷻ؛ لأنه هو الله. وقال رجلٌ لطاووس: أوصِنِي، قال: أُوصيكَ أِن تُحِبَّ اللهَ حُبًا حتَّى لا يكون شيءٌ أحبَّ إليكَ منهُ، وخَفْهُ خوفاً حتى لا يكون شيءٌ أخوفَ إليك منهُ، وارْجُ اللهَ رجاءً يَحُولُ بينكَ وبين ذلك الخوفِ، وارْضَ للناس ما تَرْضى لنَفسِكَ.

والإجلالُ والتعظيمُ من الحياءِ، والحياءُ بمنزلةِ الرأس من الجسدِ، الذي لا غنى لأحَدِهما عن صاحبهِ،

وإذا استَحْيَا العبدُ من ربِّهِ أجَلَّهُ.وأفضلُ الحياءِ، المُراقبةُ للهِ عَزَّوَجَلَّ.

والمُراقَبَةُ في ثلاثة أشياء: مُراقبةُ الله في طاعتهِ بالعملِ، ومُراقَبَةُ اللهِ في معصيتهِ بالتَّركِ، ومراقبةُ الله في الهمّ والخواطِرِ، لقول النَّبيِّ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يرَاكَ»، متَّفق عليه[1].

ومُراقَبةُ القلب لله عَزَّوَجَلَّ، أشَدُّ تَعَبًا على البدن من مُكابَدَةِ قيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ، وإنفاقِ المالِ في سبيلِه.

وقد ذُكر عن سيدنا علي بن أبي طالب ـ عليه السَّلام، أنهُ كانَ يَقولُ: إنَّ لله في أرضهِ آنيةً، وإنَّ من آنيَتهِ فيها القُلُوب، فلا يَقْبَلُ منها إلا ما صُفِّي وَصَلُبَ وَرَقَّ[2].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان. باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٥٠، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان. باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في كتاب "الزهد" (ص ٣٨٤)، وجاء نحوه مرفوعاً إلى=

ـ ومعنى ذلك: أنْ يُصفِّيَ القلبَ لله عَجَّلَّ باتّباع أمرهِ ونهيهِ، ومُشاهدةِ الصِّدقِ والإشفاق، وَصَفَّاهُ لِرسولِ الله ﷺ، بقبولِ ما أتى بهِ قولاً وعملاً ونيَّةً. وصَفَّاهُ للمؤمنين بِكَفِّ الأذى وإيصالِ النفعِ.

ـ وأمَّا معنى قولهِ: «وصَلُبَ» فَمعناهُ: قَوِيَ في إقامةِ الحدودِ لله تعالى، والأمر بالمعرُوفِ والنهْيِ عن المُنكر. وقولهِ: «ورقَّ» فالرِّقَّةُ على وجْهَين: رقَّةٌ بالبكاء، ورقَّةٌ بالرَّأفةِ. وبالله التوفِيق وهو حَسْبُنَا ونِْعَم الوَكِيلُ. اهـ[1].

ويقال: أصفاها لله عند المراقبة، وأصلبها في دين الله عند المخاطبة، وأرقها على الإخوان عند المرافقة.

=النَّبيّ ﷺ أنه قال: « إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها »، وسبق تخريجه: ص٢٠.

(١) رسالة المسترشدين: لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، (ت ٢٤٣هـ): (١٧٩ ـ ١٨٣).

أما آثار المحبّة وثمارها فهي خمسةٌ: الشوق، والأنس، والقرب، والاتصال، ومحبة الله تعالى للعبد؛ أما: الشوقُ: فقد قالوا: هو غلبة المحبة في مقام الذوق. ويقال: الشوق نار الله الموقدة من نور بلائه لأهل ولائه أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر، والإيرادات، والعوارض والحاجات فيكون من خلاصة أصفيائه.

وللشوق مراتب ثلاث:-

المرتبة الأولى: شوقٌ إلى الجنان، وهذا هو النعيم المقيم برحمة المولى الكريم ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ ونوالُهُ.

المرتبة الثانية: الشوقُ إلى نيلِ رضوانه ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا هو مطلوب عباده المؤمنين ـ وهذا من كرم عطائه وفيض وده.

المرتبة الثالثة: الشوقُ إلى رؤيته ومشاهدتهِ وهذا من مزيد لطف ذاته، وعظيم تجلياته ـ تبارك وتعالى ربّنا وتقدس ـ وهذا منى أحبابه وأصفيائه؛ لذا كان يدعو نبينا محمّد ـ عليه الصَّلاة والسَّلام، ويقول: «وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ»، رواه أحمد والنسائي، والحاكم[1]، ومن مناجات الحبيب الأعظم ﷺ: «إلهي إذا قرت أعين أهل الدنيا من دنياهم، فأقر عيني بك، وأقر عيني بلذائذ أنسك، والشوق إلى لقائك».

يقول من يحب: يا خير مؤنس وأنيس، يا خير صاحب وجليس، طوبى لمن اكتفى منك بك، اللّهمَّ لبيك لبيك يا حبيب القلوب، لبيك يا سرور القلوب،

---

(١) مسند أحمد: (٣٥/٥٢٠)، رقم: ٢١٦٦٦، وسنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ): كتاب السهو، رقم: ١٣٠٦، والمستدرك: (١/٦٩٧)، رقم: ١٩٠٠.

لبيك لبيك يا منى القلوب، لبيك اللّهمَّ آليت بك عليك، أن لا تصرفني بك عنك، ولا تحجبني بك عنك[1].

ثانياً: الأنسُ، وهو: غلبة الفرح للقرب إلى الربّ، وقصر النظر على مراقبته ومشاهدته ـ جلَّ وعلا، ومن أنسَ بالله استغنى عن خلق الله، واستوحش من أرباب الدنيا: فقد أوحى الله إلى داود ـ عليه السلام: «يا داود بَلِّغْ أهل أرضي أني حبيبٌ لمنْ أحبني، وجليسٌ لمن جالسني، ومؤنسٌ من أنس بذكري، وصاحبٌ لمن صاحبني، ومختارٌ لمن اختارني، ومطيعٌ لمن أطاعني، ما أحبني عبدٌ أعلم ذلك يقينًا من قلبه إلا قبلته لنفسي، وأحببته حباً لا يتقدم إليه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله: لأحمد الرفاعي(ت ٥٧٨هـ):(ص ١٤١.١٤٢).

أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي، وائتنسوا بي أُونسكم وأسارع إلى محبتكم»[1].

وقال جدنا عليّ بن أبي طالب المرتضى ـ عليه الرضوان والسّلام، عن أهل الأنس: هم قومٌ هجم بهم الأمر على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان، أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه.

ولله در القائل:-

الأنس بالله لا يحويه بطال   وليس يدركه بالحول محتال

والآنسون رجالٌ كلهم نجبٌ   وكلهم صفوة لله عمال[2]

---

(١) ينظر: المصدر السابق: (ص ١١٨).

(٢) إحياء علوم الدين: (٤/ ٣٤٠).

قلت:-

يا روح روحي من لي سواكا شغف الفؤاد بسر هواكا

يا طب قلبي رضًا بقضاكا أنت حبي أملي لقياكا

ثالثاً: القرب؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1] **، وقال تعالى:** ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[2]**، وقال ـ جلت عظمته:** ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3]**، وقال ـ جلَّ وعلا ـ في صفة ملائكته:** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴿٥٧﴾ ﴾[4]**، الوسيلة يعني: القرب.**

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة ق.

(٣) سورة الواقعة.

(٤) سورة الإسراء.

ـ وقــوله ـ جلَّ ذكــره: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾،

قال الإمام الطوسي ـ رحمه الله تعالى: فذكر الله تعالى قربهم منه، ثم ذكر قربهم بمعنى توسلهم إلى الله تعالى بالقرب أيهم أقرب، وقال: وحال القرب للعبد شاهد بقلبه قرب الله منه فتقرب إلى الله تعالى بطاعته، وجميع همه بين يدي الله تعالى بدوام ذكره في علانيته وسره[1].

قلت: التوجه إلى الله ـ جلَّ وعلا، بمقامهم عند الله عز وجل، ومحبة الله عليهم، فيُحبك لحبه عليهم ـ فتذهب بالله إلى الله، فتُكتب من أحبابه لحبه عليهم؛ لذا قدّم حبه على حبّنا، فقال ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾ ﴾.

اللّهُمَّ؛ جئناك مفتقرين محبين بك إليك، فيا الله الله.

جعلنا الله بحرمته من أهله في الدارين، بلا محنة ـ سبحانه لا ربَّ سواه ـ يا لطيف يا واسع يا عليم،يا الله.

---

(١) اللمع في تأريخ التصوف الإسلامي: (ص ٥٢.٥٣).

ويقال: القرب، هو: زوال كُلِّ معترضٍ، وهو: النفس، والشيطان، والخلق، والدنيا.

- أما النفس، وهي: أعدى الأعداء، فيجب ترك هواها ومطاوعة مشتهاها؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴿٢٣﴾﴾[1]، ورد في الأثر: «أبغض إله عُبد في الأرض عند الله الهوى»[2]؛ وورد: «من عرف نفسه؛ فقد عرف ربّه»، أي: من عرف نفسه بالعبودية، عرف ربّه بالربوبية، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربّه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالجفاء والخطأ، عرف ربّه بالوفاء والعطاء، ومن عرف نفسه بالافتقار، قام لله على قدم

---

(١) سورة الجاثية.

(٢) أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف. ينظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ): (٤٣/١).

الاضطرار، ومن عرف نفسه لمولاه، قلت حوائجه إلى من سواه، روي أن النَّبيَّ ﷺ، قال: «من عرف الله قام بحقه»[1].

- وأما الشيطان - لعنه الله تعالى، فإنه يدعو حزبه إلى الطغيان في الدنيا وإلى النيران في العقبى؛ كما قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[2]، فضيقوا عليه ـ لعنه الله ـ بالجوع، والذكر؛ أما الجوع، فلقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[3]، وهذه الآية أعظم

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله: (ص ٤٩-٥٠).

(٢) سورة الحشر.

(٣) سورة الأعراف.

تربية لأحبابه ـ سبحانه ـ في الطعام، فإذا جعت فَكُل، وإذا أكلت فلا تشبع، ثم سمِّ الله على طعامك، وناجي ربّك في سرك وأنت تأكل، وقل: اللّهُمَّ؛ هذا رزقك وأنا عبدك وقد أبحتَ لي هذا، وها أنا أتناوله من فضلك فاجعله في مرضاتك وعلى بركات ذكرك، ثم قل: اللّهمَّ؛ أعنِّي بنعمتك هذه على حمدك وشكرك، وقلبك حاضرٌ مشغولٌ بالمنعم - جلَّ وعلا ـ وفي نهايته: احمدِ الله واشكره، قائلاً: الحمد لله الذي أطعمني وسقاني وجعلني من المسلمين، ثم قل: الحمد لله الذي أطعمني وسقاني من غير حولٍ مني ولا قوة، وقبل ذلك صلِّ على رسول الله ﷺ، وورد عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إنَّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش»[1].

(١) إحياء علوم الدين: (٣/٨١ـ٨٢).

"أي سادة": ومنهجنا في الطعام، قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾. فتنبّهوا.

وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»، رواه ابن ماجه[1].

- والذكر؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[2]، وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه؛ فذلك الوسواس الخناس»، رواه الطبراني

---

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة ـ باب الاقتصاد في الأكل، وكراهية الشبع، رقم: ٣٣٤٩، قال الألباني: صحيح.

(٢) سورة الرعد.

وأبو يعلى[1]، وورد: «إذا تمكن الذكر في القلب، وجاء الشيطان صُرِع، فيقول أصحابه منَ الجنِّ إن الإنسيَّ مسَّ الجنيَّ»؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[2]، قال ابن عباس: ما من مؤمن إلا على قلبه شيطان إذا ذكر الله خنس، وإذا نسي الله وسوس[3]؛ فبين الجوع والذكر: قيل للواسطي: أي الطعام أشهى؟، قال: لقمة من ذكر الله، ترفع بيد اليقين، من مائدة الخلد، عند حسن الظن بالله.

- وأما الخلق: فإن مخالطتهم غالبًا ما تدعو إلى الغيبة والبعد عن قرب الربّ والإسراف في حب الأهل

---

(١) الدعاء للطبراني: (٥٢١)، رقم: ١٨٦٢، ومسند أبي يعلى: (٢٧٨/٧)، رقم: ٤٣٠١، والمقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي: لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ): (١١٩/٣)، رقم:١٢١٣.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) حالة أهل الحقيقة مع الله: (ص٧٠).

والولد والأصحاب والأحباب والعقار من الدار في الديار حتى النوح بطيب أصوات الأطيار وروح نسيم الأشجار، فبقدر أنسه وقربه إلى غير الله ـ يبعد عن أنسه وقربه إلى مولاه؛ كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[1]، فاجعل الجميع باليد لا بالقلب، هذا من نعم الله عليك، شاكرًا لأنعمه لا يشغله الكلُ عن أُنسه ومحبته وعبادته وشكره إلى مقام قربه ومحبته ـ جلَّ في علاه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ

---

(١) سورة آل عمران.

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾[1]، وقال تعالى:﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾[2].

واعلم: أن من كَثُر أصحابه لغير الله كَثُر أعداءُ قلبهِ، ومن كَثُرت أحبته لله كَثُر شُفعاؤه؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾[3]، وقال جلَّ ثناؤه:﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾، ولقول النَّبيِّ الشفيع ﷺ: «استكثروا من الإخوان؛ فإن لكل مؤمن شفاعةً يوم القيامة»[4]، وفي أُخرى: «أَكْثرُوا من المعارف من الْمُؤمنِينَ فَإِن لكل مُؤمن شَفَاعَة عِنْد

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة النازعات.

(٣) سورة الزخرف.

(٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ): (٤/٩).

الله يَوْم الْقِيَامَة»[1]، وورد: «أكثروا من الإخوة، فإن لكل أخٍ شفاعة يوم القيامة».

- وأما الدنيا: فإنَّ قطع علائقها، ودفع عوائقها وإخراج حبّ غير الله من القلب هو الموجب لقرب الربّ، فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل أو الهواء ما لم يخل من الماء؛ كما قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ ﴿٤﴾﴾[2]، وكمال الحبّ المورث للقرب أن يحبّ الله بكل قلبه وما دام يلتفت إلى غيره، فزاوية في القلب مشغولة بغيره، فبقدر ما يشتغل بغير الله ويبعد عن قرب ربّه، وبقدر ما يبقى في الإناء من الماء ينقص من الخل أو الهواء، ويشير إلى هذا التفريد والتجريد؛ قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب: لشيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو أبي شجاع الديلميّ الهمذاني (ت ٥٠٩هـ): (١/٨١)، وكنز العمال: (٩/٤).

(٢) سورة الأحزاب.

يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «أَلا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»، رواه الترمذي وابن ماجه[2]، وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «فَوَاللهِ لا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»، متفق عليه[3]، وقال ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، متفق عليه[4].

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الزهد، رقم: ٢٣٢٢، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد ـ باب مثل الدنيا، رقم: ٤١١٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجزية ـ باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، رقم: ٣١٥٨، وصحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦١.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الرقاق ـ باب مثل الدنيا في الآخرة، رقم: ٦٤١٥=

- والرابع من آثار المحبة وثمارها: الاتصال، وهو: المراقبة والمشاهدة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، يعني: حاضرُ القلب بالله تعالى، وقال ﷻ: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾، فمن معانيها: قال أبو بكر الواسطي ﵁: فالشاهد الربّ، والمشهود الكون: أعدمهم ثم أوجدهم، وقال أبو سعيد الخراز ﵁: فمن شاهد بقلبه خنس عنه ما دونه، وتلاشى كل شيء وغاب عند وجوده عظمة الله تعالى، ولم يبقَ إلا الله ﷻ. سئل الإمام محمد بن واسع ﵁، هل عرفت ربّك؟ فسكت ساعة ثم قال: من عرف الله تعالى قل كلامه، ودام تحيره فُنيَ عن صور الأعمال، وتحير مع الاتصال، متقرباً في جميع الأحوال، منقطعًا عن الحال إلى

=وصحيح مسلم: كتاب الإمارة. باب باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم: ١٨٨٠.

(١) سورة ق.

وليِّ الحال، فإنَّ الأمور بحقائقها لا بالحس وصورها. ولله درّ القائل:-

إني ابتليت بأربع ما سلطوا إلا لشدة شقوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي
وأرى الهوى تدعو إليه خواطري في ظلمة الشهوات والآراء

ـ خامساً: محبة الله تعالى للعبد؛ كما قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾، كما أنه بذاته الأقدس ـ جلَّ وعلا ـ يحبهم، كذلك يُحبُّونَ ذاته العليا ﷻ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[1]، روى أنس عن النَّبيِّ ﷺ، أنه قال: «إذا أحب الله تعالى عبداً لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾»، معناه: أنه إذا أحبه تاب عليه

(١) سورة البقرة.

قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية، وإن كثرت كما لا يضر الكفر الماضي قبل الإسلام[1].

واشتراط محبة الله تعالى غفران الذنوب؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، وتحقيق هذا: "بالمحبة والطاعة، ولا ينفصل أحدهما عن الأخرى أبداً"؛ لذا فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذكر المحبّة في القرآن المجيد [٨٣] مرة، وذكر الطاعة كذلك [٨٣] مرة. فتأمَّل.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى: ومن ثمرات الحبِّ ـ الطاعةُ، ومن أحب أطاع، ولا يتصور حب مع عصيان. ومن علامات حب الله تقديم أوامره على هوى النفس، والتوقي بالورع، ورعاية حدود الشرع، والرضا

---

(١) إحياء علوم الدين: (٤/٣٢٧).

(٢) المصدر نفسه: (٤/٣٢٧).

بالقضاء والقدر. قال رسول الله ﷺ: «ثم إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب» رواه أحمد والحاكم[1]، وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «فَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ، وَمَنِ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ اللهُ، وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ أَحَبَّهُ اللهُ»، رواه الطبراني[2].

قال وهب بن منبه ـ رضي الله تعالى عنه: إنا نجد في كتاب الله المنزل، إنَّ عبادي المخلصين، كانوا إذا سلكوا طريق الشدة والبلاء فرحوا واستبشروا، ويقولون: الآن يتعهدنا ربّنا، ورد في الحديث: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابتلاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ

---

(١) مسند أحمد: (٣/٥٣٩)، رقم: ٣٦٧٢، والمستدرك: (١/٨٨)، رقم: ٩٩، وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) المعجم الأوسط: (٥/١٣٩)، رقم: ٤٨٩٤، ورجاله ثقات.

الْجَزَعُ»[1]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[2]، وقال ـ جلَّ مجده :﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦﴾[3]، وسئل خاتم النبيين ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قال: «الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنْ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[4].

واعلموا إخوتي: أن ما أُصيب به سيدنا الحسين ـ عليه السّلام ـ يوم عاشوراء إنما هو الشهادة الدالة على صدق محبته، ومزيد رفعته، ودرجته عند الله ـ سبحانه،

---

(١)مسند أحمد:(٤١/٣٩)،رقم:٢٣٦٣٢،قال شعيب الأرنؤوط:إسناده جيد

(٢) سورة الزمر.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) سبق تخريجه: ص ٥٧.

وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين الطيبين، ولنتذكر هذا الحدث الرهيب، ونأخذ العبرة من صبرهم وجهادهم في سبيل الله، ونشتغل بالاسترجاع امتثالاً لأمر الله ـ سبحانه وتعالى، القائل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾[1]، "وعلامة رضاء الله ، الرضا بما قدر الله"؛ رأى أحد العارفين رجلاً يضرب عبداً بعود، والعبد يضحك في وجهه، فقيل له: يا هذا يضربك السيد بالسياط وأنت تضحك، قال من حلاوة حبه لا أجد ألم الضرب[2]؛ فما حال أهل الطاعة والمحبة ـ مع حبيبهم ومناهم، القائل ﷻ: ﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ ﴾[3]،فسبحان اللطيفِ الواسعِ العليمِ، يا الله.

---

(١) سورة البقرة.

(٢) حالة أهل الحقيقة مع الله: (ص ١٣٦).

(٣) سورة الواقعة.

قيل لبعضهم: ما بال المحبين كالمبهوتين، قال: لأنهم ذاقوا حلاوة محبته، وسمعوا أصوات عجائب حسن دعوته، حتى طارت عقولهم وقلوبهم إليه، وصاروا مدهوشين به، "هيهات أين الحبّ، وأين صفوة الحبّ، وأين حقائق الحبّ، وأين من يستحق الحبّ".

إنَّ المحب نهـاره مستوحش   بين العباد يسير كالمتفـرد
فالعيــن منه قريـرة بحبيبـه   يرجو لقاء الواحد المتفرد
يا حـسن موكبهم ما أقبلوا   نحو الإله مع النبيِّ محمّد[1]

وفي الختام : ومما تتعرض إليه أمتنا في زماننا هذا ـ من المحن والفتن والبلاء هو البعد عن دين الله ﷻ، والعمل، بأدب ودعوة رسول الله ﷺ؛ وما يقع من أعدائنا على أسس ديننا ومقدساتنا من الأذى والاستخفاف: هو دلالة على أنهم لا دين لهم ولا خَلاق، من حيث

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله: (ص ١٣٦ـ١٣٧).

النصوص، وسلامة العقل، ولو أدركوا واهتدوا لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة .

أما الدنيا : فيكونُ على الاستقرار الفكري ـ فينتهي عندهم الاضطراب والانتحار؛كما قال تعالى:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[1] .

ـ وأما الآخرة: فهي النجاة لهم من الخلود في نار الجحيم؛ كما قال ـ جلَّ وعلا : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2] ، والدخول في جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين؛ قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ

---

(١) سورة المؤمنون.

(٢) سورة آل عمران.

سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[1]، ونذكرُ عبرةً لأولي النُّهى : لما يتعرض له ديننا في زماننا وقبل ذلك، ولكن الله ـ جل وعلا ـ حافظًا دينَهُ وحبيبَهُ: كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2].

ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في "الدرر الكامنة": كان النصارى ينشرون دعاتهم بين قبائل المغول طمعاً في تنصيرهم، وقد مهد لهم الطاغية هولاكو سبيل الدعوة بسبب زوجته الصليبية ظفر خاتون، وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل

---

(١) سورة النمل.

(٢) سورة الصف.

مغولي كبير عقد بسبب تنصر أحد أمراء المغول؛ فأخذ واحد من دعاة النصارى في شتم النَّبِيِّ ﷺ وكان هناك كلب صيد مربوط، فلما بدأ هذا الصلــيبي الحاقد في سب النَّبِيِّ ﷺ زمجر الكلب وهاج ثم وثب على الصليبي وخمشه بشدة، فخلصوه منه بعد جهد. فقال بعض الحاضرين: هذا بكلامك في حق محمد ﷺ! فقال الصليبي: كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أني أريد ضربه، ثم عاد لسبِّ النَّبِيِّ ﷺ وأقذع في السب، عندها قطع الكلب رباطه ووثب على عنق الصليبي، وقطع رقبته في الحال فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم نحو أربعين ألفاً من المغول[1]

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): (٤ /١٥٣).

قال ـ جلَّ شأنه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1]، ونسأله ـ جلَّ وعلا ـ الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، وحسن الخواتم واللقاء، ومنازل الرضوان. آمينَ. آمينَ. آمينَ. يا الله.

وهذا مساء ليلة الإثنين التاسعة عشرة من محرم الحرام، العام الهجري التاسع والثلاثين بعد الأربعمائة والألف، وفيه اكتمل هذا الكتاب "ميزان الاعتدال، لحفظ الدين والأحوال" المعروف "بالمحبوبات" بجزئه الخامس من تمام الصنف الثاني من عباد الله الصالحين، وهم أهل التقوى؛ ثم نبدأ بلطف الله ومدده ـ بأهل

(١) سورة التوبة.

المعرفة الإلهية في مقام الاتباع، والمحبة، والخدمة، ونَسألهُ ـ جلَّ وعلا ـ التوفيق والتأييد، ومن بركات ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾[1]، والحمدُ لله في الأولى والآخرة، ويوم العرض على الله، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾[2].

وهكذا أمانتنا بربِّنا؛ العمل بالدين الكامل الصالح، مع الهمة والتحمل في سبيل الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ١١٩﴾[3]، ووضع القلوب مع علَّام الغيوب ـ جلَّ جلاله، القائل: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبِ

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الشعراء.

(٣) سورة آل عمران.

سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1]، والخدمة لهذه الأمة المرحومة ـ لخاصتها وعامتها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾[2].

وقد تم بتوفيق الله الجزء الخامس وذلك بمنزلي ورباطه الملتصق بجامع الرباط في منطقة "القلعة المباركة" من مدينة سامراء المقدسة، من بلد العراق ـ بلد العلم والصّلاح والحرب والسّلام.

ويليه الجزء السادس بتوفيق الله ومدده ولطفه، كتاب "المعرفة بالله تعالى"، ونسأل الله تعالى القبول والرضا، والهدى والرحمة في الدارين لهذه الأمة المرحومة.

---

(١) سورة الشعراء.

(٢) سورة آل عمران.

سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[1].

خادم الدين والأمة

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل السيد علي الحسني

العراق - سامراء - القلعة

(١) سورة الصافات.

فهرس الكتاب